مخطوط فريد في إعجاز القرآن

د . زكريا سعيد علي*

مخطوط فريد في إعجاز القرآن، يعود إلى فترة متقدمة؛ إلى القرن الرابع أو أوائل الخامس الهجري. وقد لفت المخطوط انتباه د. زكريا، وأثار داخله بعض التساؤلات، تُفضي إلى أن التأليف في مسألة إعجاز القرآن تحتاج إلى إعادة نظر. وهذا المؤلف (المجهول) فيما يبدو من المتكلمين وأصحاب الحجاج عن العقيدة، وقد وافق البلاغيّين في كثير من المصطلحات التي استخدمها، وفي بعض وجوه الإعجاز، وطبقات الفصاحة، وخالفهم في بعض التقسيمات والمصطلحات، فإذا ما ثبت سبقه إلى بعض هذه التقسيمات والمصطلحات، فإن عددًا من الحقائق المستقرة في حقل الدراسات البلاغية ستتغير.

---

* مدرس البلاغة والنقد الأدبي بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة.

هذا المخطوط من مقتنيات المكتبة المركزية بجامعة طهران تحت رقم ٩٣٧، وقد أخذت عنه الصورة المودعة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم (٣١ بعثة إيران)، وهو يقع في ١٠٤ ورقة.

لفت انتباهي إليه تقدمه الزمني، حيث كتب في فترة مبكرة تعود إلى أواخر القرن الرابع الهجري، أو أوائل الخامس؛ فدعاني إلى البحث عنه: أن يكون هناك مؤلَّف في إعجاز القرآن في هذه الفترة الباكرة غير ما عرفناه من مؤلفات الرماني والخطابي والباقلاني، التي دارت في رحابها دراسات الباحثين. وكنت - ولا أزال - يعاودني سؤال: هل يمكن أن يكون هذا هو كل التراث الباقي حول إعجاز القرآن الذي خلَّفه علماؤنا؟! وكان هذا دافعًا لي إلى البحث في فهارس المخطوطات لعلِّي أعثر على شيء قد يكون ذا بال. وقد يسر اللَّه تعالى ووفق، فكان أن وقعت على هذا المخطوط؛ موضوع هذا البحث، وعلى مخطوط آخر فريد؛ هو شرح رسالة الرماني في إعجاز القرآن[1]، وهو شرح فريد نادر سكت عنه الناس، ولعل فيه وفي هذا البحث ما يكون دعوة لأهل العلم إلى إعادة النظر في تاريخ التأليف في مسألة «إعجاز القرآن».

وهذا المخطوط - موضوع بحثنا - مجهول المؤلف، وقد جرت العادة أن المخطوطات التي من هذا النوع يحجم عن الاقتراب من درسها جمهور الباحثين، ويقللون من شأنها. والحق أن هذا مسلك غير صواب، وقد يكون من المفيد للغاية أن تتجه العناية إلى أمثال هذه المخطوطات بالدرس والفحص، والصبر على ما قد يصحب ذلك من بذل للجهد والوقت.

---

(١) صدر عن دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٩٧ م.

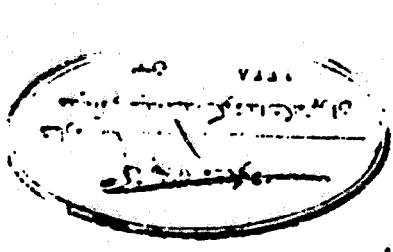

واستدركوا ما فات أهل الدين ونبهوا على ما غفل عنه فضلاء المسلمين
كلا بل هم صم عن الحق لا يسمعون بكم عن الحجاج لا ينطقون
عمي عن الرشاد لا يبصرون كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون فأت أرذلهم طبقة وأخسهم طريقة وأقلهم شبهة
وأغناهم على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وأعداهم
للمسلمين وأحرصهم على التحيل لإطفاء نور الله المبين ويأبى الله
إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون من ينتسب منهم إلى الباطن
ويرهم أن وراء ما بيد المسلمين من حجج العقول من الكتاب
والسنة حقيقة عرفوها وحصلوها وأنها مخزونة إلا عمن بذل لهم العهود
والمواثيق فإذا كشفنا وجدت مخازي تلوح على صفحاتها آثار الاستهزاء
بمن يأخذ عنهم ويلوذ بهم يعدونهم حمرا مستنفرة قد زينوا عندهم
ارتكاب الفواحش وأباحوا لهم التطرق إلى المظالم وأحلوا لهم شرب الخمور وترك
الصلوات ومنع الزكوات لقد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا
عن سواء السبيل ينفون الصانع وينكرون النبوات أجمع ويجحدون
الشرائع فيقولون لا يقال في الله تعالى موجود ولا لا موجود ولا يعلمون
لجهلهم وفرط غباوتهم أن نفي النفي يقتضي الإثبات عند أهل اللسان
ألا ترى أنهم إذا أرادوا أن يحققوا الإثبات قالوا لا غير فيقولون
هو الرأي لا غير وهو زيد لا غير فيجمعون بين النفيين لتحقق

الورقة الأولى من المخطوطة

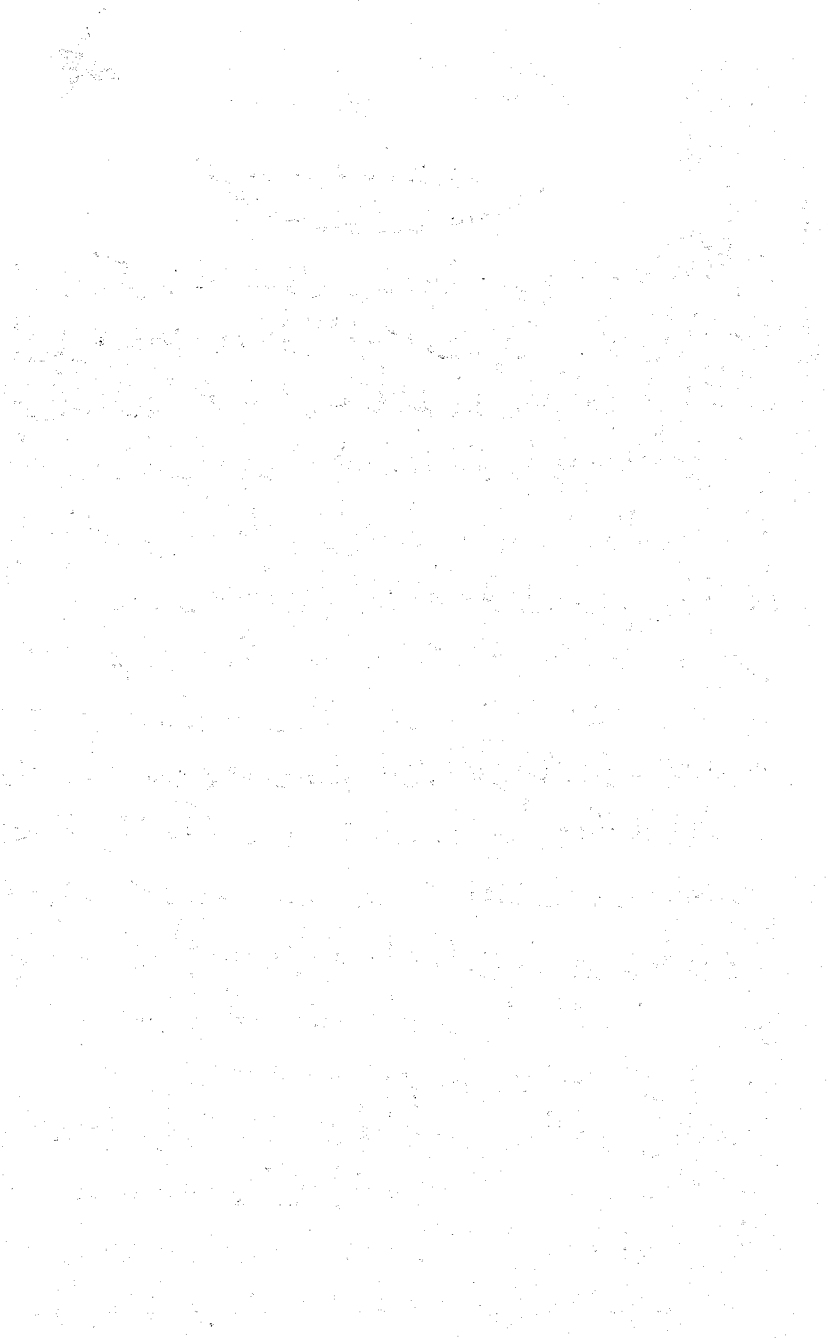

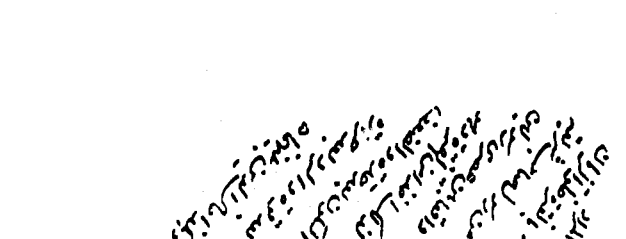

الإثبات فاذا قالوا لا موجود ولا لا موجود فقد حققوا انه موجود
واذا قالوا لا موجود فقد نفوا ما اثبتوا ونقضوا ما قالوا
وليس ذلك مما يخفى لكن غرضهم في ذلك هو التوصل الى
التعطيل ونفي الصانع ويقولون ان محمدا صلى الله عليه وآله انما
كان له التأييد دون ما سواه من الوحي والارسال ونزول
جبريل ويشيرون بالتأييد الى المرتبة التي تحصل لكل من تقدم
في صناعة وبرع فيها من شاعر وخطيب وفقيه ومتكلم او
منجم ويسمون الشرائع نواميس ويتوصلون الى جحدها او
ابطالها بادعاء ان لكل شيء منها باطنا اذا عرف سقط وجوب
العمل به وينكرون البعث والنشور ويقولون معنى القيامة هو
قيام محمد بن اسمعيل بن جعفر وخروجه ولولا انه ليس غرضنا في كتابنا
مثل نقل احوالهم ونشر فضائحهم وبسط مقابحهم لبينت من
فساد عقائدهم ومساوي دفائنهم وما بينه شيوخنا رحمهم الله
من الاسلاف وسائر العلماء في كتبهم المصنفة من هتك استارهم
واذاعة اسرارهم نحو ابي زيد محمد بن علي بن محمد العلوي الحسني
والى جعفر بن قبة الرازي وابي عبد الله بن رزام الكوفي وابي محمد
بن عبدك الجرجاني وغيرهم رحمهم الله ثم ذكرت ما في رسائلهم
الموسومة بالبلاغ السابع وما سموها بالبلاغ الاكبر والناموس
الأعظم

الاعظم لكني احيل من اراد الوقوف على باطنهم واسرارهم الى هذه الكتب
فانها مشهورة معروفة معرضة لمن ارادها وارجع الى الغرض الذي
قصدته وهو اني رأيت ان اصنع كتابا في الآيات عن معجزات نبينا
صلى الله عليه وآله وما ايده الله به من الآيات البينات و
الدلائل الواضحات التي لا يذهب عنها من نصح لنفسه ولم
يتلعب بدينه مستعينا بالله تعالى ومستهديا والراغبا اليه
تبارك وتعالى ان يعظم النفع به والمثوبة عليه وان يجعل سعيي
فيه وكدحي له خالصا لوجهه هذا ولست اطمع ان اتى على ما
قاله السلف رحمهم الله في هذا الباب وانما اوجز من كلامهم
ما جعله البسط منها على الاطراف والبسط ما جعله الايجاز خفي
الاغراض وانتم رحمكم الله اذا تأملتم احوال الفترات التي كانت
بين ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم
اجمعين عاشرو على محمد حاصله زدتم معرفة بحسن تدبير الله
لخلقه في بعثات الرسل وتجديد ما درس وتأكيد ما دثر من
الشرائع والملل فانه عز وجل بعث حين علم الصلاح في الابتعاث
وعند الفترة حين علم ان في المصلحة بها لان الفترة على ما
يقوله بعض اهل التواريخ على اختلاف بينهم فيه والله اعلم بتحقيق
ذلك كانت بين ادم ونوح صلى الله عليهما نحو سبعمائة عام و

الورقة الثانية من المخطوطة

انما كان ذلك والله اعلم وانما نقول على مقدار ما يلوح لنا ويبلغه
مقدارا فهمنا ان ادم اهبط الى الارض وهو ابو البشر واول الانس
ولم يكن في زمانه شيء من الكفر ولا عبادة الاصنام ولم يكن غيره و
غير زوجته واولادهما وكانوا يعرفون حاله ولم يكن في امره شبهة
عندهم لوضوح امره وظهور اياته وقلة من بعث اليهم فاشتد زمان الفترة
كان بينهما مع ذلك شيث وادريس صلوات الله عليهما فاستحدث الناس
الكفر وعبدوا الاصنام واتخذوا ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا
فابتعث الله تعالى نوحا صلى الله عليه يدعوهم الى التوحيد وخلع
الاصنام والانداد ولبث فيهم كما ذكر الله تعالى الف سنة الا خمسين
عاما فغرقهم الله ثم بالطوفان حين علم انهم لا يصلحون ونجى نوحا
ومن معه ثم كانت الفترة بين نوح وابرهيم صلى الله عليهما على ما
يقوله المؤرخون نحو سبعمائة عام وانما كانت هذه المدة نحو تلك
لان الغرق غاية حال نوح الى نحو حال ادم عليهما السلام في ظهور
امره وابتداء النشو منه مع انه لم يكن بقي من الكفار احد الا ان
الناس كانوا قد عرفوا عبادة الاصنام واتخاذ الالهة من دون الله
تعالى فاسرعوا بعد في الكفر وعبادة الاصنام وكان الله بعث هودا
الى عاد لما ازداد تمردهم وصالحا بعده الى ثمود لما ازداد الكفر
ظهورا وانتشارا ابتعث الله تعالى ابرهيم فدعاهم الى الله تعالى
وكسر

كسر اصنامهم ونبههم على خطأ افعالهم وجدد لهم الذكرى وانزل
الله تعالى عليه الصحف ثم بعث لوطا الى قوم مخصوصين حين
ازداد عتوهم واستحدثوا من الفاحشة ما لم يكن قبلهم ثم كانت
الفترة بينه وبين موسى عليهما السلام نحوا من خمسمائة سنة وانما كان
ذلك كذلك والله اعلم لان ابرهيم صلى الله عليه مضى والكفر
باق بينهم ظاهر ولم يكثر اتباعه الكثرة الظاهرة على ما بلغنا وبعث
الله بعده اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وشعيبا قبل
مبعث موسى عليهم السلام وقيل ان ايوب ايضا كان بعث قبل موسى
فتغيرت احوال بني اسرائيل وقل قبول الناس الحق وظهر الكفر و
بلغ مبلغا لم يكن بلغ من قبل لان فرعون ادعى الالهية فقال انا
ربكم الاعلى واستعبد بني اسرائيل فعظم الامر وازداد الكفر
والشر الجرف ونسي الحق فلذلك قصرت مدة هذه الفترة حتى
بعث موسى مع تلك الايات العظام كالعصا واليد البيضاء ونجاة
بني اسرائيل البحر بعد ان انفلق وكان كل فرق كالطود العظيم
وتغريق فرعون ومن معه الى غير ذلك من الحجر الذي انفجرت منه
العيون وما كان ظهر قبل ذلك من الجراد والقمل والضفادع والدم
وغير ذلك مما يطول ذكره وانزل عليه التوراة وبين فيها الاحكام
والحلال والحرام وظهر امره اتم الظهور وانما كانت اعلام موسى

الورقة الثالثة من المخطوطة

- أ -

المؤلف مجهول كما ذكرت، ولكني سأحاول من خلال دراسة متن الكتاب إضاءة الطريق للتعرف على المؤلف قدر الإمكان، وعلى طبيعة الكتاب وأهميته وسماته العامة:

١- فأما زمان تأليف هذا المخطوط فهو القرن الرابع الهجري. وقد جاء ذكر ذلك عرضًا في ثنايا كلام مؤلفه؛ إذ نص على أن الوقت من بعثة النبي ﷺ وحتى زمانه نحو من أربعمائة عام. يقول المؤلف: «ثم ابتعث اللّه النبي محمدًا صلى اللّه عليه وآله وختم به الرسالة، ونحن من مبعثه على نحو من أربعمائة عام ...»[(١)]. وهذه الإشارة - أيضًا - إلى انقضاء أربعمائة عام أو قريب منها، منذ مبعث النبي ﷺ وحتى زمان المؤلف تكررت في موضع آخر[(٢)].

٢- ويكشف لنا كلام المؤلف من الصفحات الأولى عن ذيوع سطوة فرقة الباطنية في زمانه، وقوة شوكتهم. وقد جاءت الإشارة إلى هذا في معرض حديثه عن أن معارضة القرآن لو كانت قد وقعت لما أمكن كتمها، ولذاع خبرها، ولا سيما في زمانه هذا، حيث شجعت الباطنية على الطعن في الدين، وبذلوا لذلك الأموال بسخاء. يقول المؤلف: «فكيف يظن أن معارضة القرآن لو كانت كان يخفي نقلها لا سيما في زماننا هذا، والباطنية قد اتسعت أحوالهم، وكثر بذلهم الأموال على الاستدعاء إلى ما هم عليه من الجحد للتوحيد والنبوات فلو وجدوا سبيلًا إلى ذلك لحصّلوه بما لهم من طريف وتليد..؟»[(٣)].

---

(١) المخطوط: ٦، ٧.

(٢) المخطوط: ١٤٢، س ٥.

(٣) المخطوط: ٣٠.

ومن بداية الصفحة الأولى للمخطوط يشن المؤلف هجومًا عنيفًا على هذه الطائفة، يَشْتَمُّ القارئ أن من بين ما دفعه إلى تصنيف هذا الكتاب طعن هذه الطائفة الباطنية في نبوة رسولنا محمد ﷺ، ونجده يلصق بهم أشد التهم والمساوئ، حيث يقول: «... فإن أرذلهم طبقة، وأخسهم طريقة، وأقلهم شبهة، وأعتاهم على اللَّه تعالى وعلى رسوله - صلى اللَّه عليه وآله - وأعداهم للمسلمين، وأحرصهم على التحيل لإطفاء نور اللَّه المبين: ﴿ويأبى اللَّه إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾، من[1] ينتسب منهم إلى الباطن، ويوهم أن وراء ما في يد المسلمين من حجج العقول من الكتاب والسنة حقيقة عرفوها وحصلوها، وأنها مخفية إلا عمن بذل لهم العهود والمواثيق»[2].

ونجده ينسب لهذه الطائفة استحلالها للفواحش، وترك الصلوات، ومنع الزكوات، وأنهم ينفون الصانع، وينكرون النبوات أجمع، ويجحدون الشرائع[3]، ويقولون: «إن محمد - صلى اللَّه عليه وآله - إنما كان له التأييد دون ما سواه من الوحي والإرسال ونزول جبرائيل، ويشيرون بالتأييد إلى المزية التي تحصل لكل من تقدم في صناعة وبرع فيها، من شاعر أو طبيب أو فقيه أو متكلم أو منجم، ويسمون الشرائع نواميس، ويتوصلون إلى جحدها أو إبطالها بادعاء أن لكل شيء منها باطنًا إذا عرف سقط وجوب العمل به، وينكرون البعث والنشور، ويقولون: معنى «القيامة»؛ هو قيام محمد بن إسماعيل بن

(١) خبر «إن» في أول الكلام في قوله: «فإن أرذلهم ...»، وبينهما فصل طويل.
(٢) المخطوط: ١.
(٣) المخطوط: ١.

جعفر »[1] .

وهذا يبين أن الطائفة الباطنية المقصودة بهذه الأوصاف المرمية بهذه التهم إنما هي الطائفة التي عرفت بالإسماعيلية أو الفاطمية ، التي كانت تحكم مصر ، وتهدد الخلافة العباسية في بغداد ، زمن تأليف الكتاب . وهي فرقة من غلاة الشيعة تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق .

ونجد المؤلف يحيل في بيان فساد عقائد هؤلاء الباطنية إلى ما صنفه العلماء في الرد على هذه الفرقة الضالة وكشف أستارها . يقول المؤلف : « ولولا أنه ليس غرضنا في كتابنا هذا نقل أحوالهم ونشر فضائحهم وبسط مقابحهم لبينت من فساد عقائدهم ومساوئ دفائنهم . وما بينه شيوخنا رحمهم الله من الإسراف[2] وسائر العلماء في كتبهم المصنفة من هتك أسارير أستارهم وإذاعة أسرارهم ، نحو أبي زيد محمد بن عيسى بن محمد العلوي الحسيني ، وأبي جعفر بن قبة ، وأبي عبد الله بن رزام الكوفي ، وأبي محمد بن عبدك الجرجاني ، وغيرهم - رحمهم الله - ثم ذكرت ما في رسالتهم الموسومة (بالبلاغ السائغ) ، وربما سموها (بالبلاغ الأكبر والناموس الأعظم)[3] . لكني أحيل من أراد الوقوف على باطنهم وأسرارهم إلى هذه الكتب فإنها مشهورة معروفة لمن أرادها »[4] .

---

(١) المخطوط : ٢ .

(٢) كذا في المخطوط ، ولعلها (الأشراف) .

(٣) مال ابن كثير إلى أن مؤلف هذه الرسالة القاضي الفاطمي عبد العزيز بن النعمان ، وذكر أن في هذا الكتاب « من الكفر ما لم يصل إبليس إلى مثله » ، وأنه رد عليه أبو بكر الباقلاني . انظر البداية والنهاية : ٦/ ٣٣١.

(٤) المخطوط : ٢ - ٣ .

وقد حاولت تتبع ترجمة هؤلاء الشيوخ الذين ذكرهم المؤلف، فوجدت أنهم من علماء الشيعة «الاثنا عشرية»، ولبعضهم صلة بالاعتزال، وبعضهم من آل البيت الحسينيين. فأما أبو محمد بن عَبْدَك الجرجاني فقد ذكره السمعاني في الأنساب في حرف العين، وضبطه بفتح العين وسكون الباء الموحدة وفتح الدال المهملة في آخرها كاف. وجاءت كنيته عنده «أبو أحمد». وقال عنه: «أبو أحمد محمد بن علي بن عبدك الشيعي العبدكي من أهل جرجان، كان مقدم الشيعة وإمام أهل التشيع بها، سمع عمران بن موسى بن مجاشع الجرجاني وأقرانه، روى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ البيع وعرفه ونسبه هكذا، وقال: كان من الأدباء الموصوفين بالعقل والكمال وحسن النظر، استوطن نيسابور، وبنى بها الدار والحمام المعروف بباب غرزة، وتوفي بعد الستين والثلاثمائة بجرجان»[1].

وذكره صاحب أعيان الشيعة، وقال عنه: «أبو جعفر أو أبو محمد أو أبو أحمد محمد بن علي بن عبدك الجرجاني توفي بعد ٣٦٠»[2].

وذكر أن «عبدك» هذا اسم مخفف عن عبد الكريم، كما يقولون في «عبد الله»: «عبدل»، وفي «زين العابدين»: «زينل»[3].

---

(١) الأنساب للسمعاني: ١٣٢/٤ - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي - دار الجنان - ط الأولى - بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين - حققه حسن الأمين - دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م: المجلد التاسع، ج٤٥/ ٤٣٧.

(٣) انظر السابق: ٤٥/ ٤٣٧.

و« عبدك » هذا - جد المترجم - من أصحاب الإمام محمد بن الحسن الشيباني ؛ صاحب أبي حنيفة ، وتفقه عليه[1] .

وكان ابن عبدك - هذا - معتزلي المعتقد إلى جوار مذهبه الشيعي ، وهذا ما قرره صاحب أعيان الشيعة ، قال : « وفي الفهرست : ابن عبدك من أهل جرجان أظنه يكنى أبا محمد بن محمد بن علي العبدكي من كبار المتكلمين في الإمامة ، له تصانيف كثيرة ، وكان يذهب إلى الوعيد ... وقال ابن شهرآشوب في « معالم العلماء » : ابن عبدك أبو محمد محمد بن علي العبدكي الجرجاني إمامي ، إلا أنه يذهب إلى الوعيد في تصانيفه ... والقائلون بالوعيد يقال لهم : الوعيدية ، وهم فرقة قالوا بقبح خلف الوعيد كما يقبح خلف الوعد ، بدأهم بهذا القول عمرو بن عبيد المعتزلي »[2] .

وكتاب ابن عبدك الذي يشير إليه المؤلف فيما سبق في الرد على الإسماعيلية ، ذكره صاحب « أعيان الشيعة » في مصنفاته التي أورد أسماءها

---

(١) انظر الجواهر المضية في تراجم الحنفية لمحيي الدين أبي محمد عبد القادر الحنفي - تحقيق د . عبد الفتاح الحلو - مطبعة عيسى الحلبي (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) : ٣/ ٢٦٤- الترجمة ١٤١٩، وانظر أيضًا في أعيان الشيعة تعليق المحقق بهاء حسن : ج٥٤/ ٤٣٧، المجلد التاسع .

وقد ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون (١/٥٦٢) أن لمحمد بن علي المعروف بعبدك الجرجاني المتوفى ٤٣٧هـ شرحًا على الجامع الصغير في الفروع لمحمد بن الحسن الشيباني الحنفي المتوفى ١٨٩هـ، وذكر أن له شرحًا آخر على الجامع الكبير في الفروع لمحمد بن الحسن أيضًا . (كشف الظنون ١/ ٥٦٨) . ولعله قد اختلط على صاحب كشف الظنون هنا محمد بن علي الشهير بابن عبدك أو العبدكي بجده عبدك صاحب الإمام محمد بن الحسن .

(٢) أعيان الشيعة : ج٤٥/ ٤٣٧- ٤٣٨ (المجلد التاسع) .

ناقلًا عن الفهرست للطوسي، فقال: «لابن عبدك هذا كتب كثيرة، منها كتاب «تفسير القرآن» كبير حسن، له كتاب «الرد على الإسماعيلية». وفي «معالم العلماء»: تصانيفه: التفسير عشرة أجزاء، مطلع الهداية، الرد على الإسماعيلية، الكلام في الفرقة المثبتة لرؤية اللّه تعالى»[1].

وكتابه هذا المعنون بـ«الكلام في الفرقة المثبتة لرؤية اللّه تعالى» يؤكد مذهبه الاعتزالي في نفي رؤية اللّه تعالى، وهو يريد بها هنا أهل السنة.

وأما أبو جعفر بن قبة الرازي، فهو من متكلمي الشيعة الإمامية أيضًا، قال عنه ابن شهرآشوب: «محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي أبو جعفر المتكلم الفحل، له كتب في الإمامة، منها كتاب «الإنصاف»، «المستثبت نقض كتاب المسترشد للبلخي»، «التعريف في مذهب الإمامية وفساد مذهب الزيدية»، «نقض كتاب الإشهاد لأبي زيد العلوي»[2].

أما أبو عبد اللّه بن رزام الكوفي، فلم أتمكن من الوقوف على ترجمة له، إلا أن ابن النديم ذكر كتابه في الرد على الإسماعيلية في الفهرست، ونقل عنه[3]. وكنت قد مررت بذكره في مواضع من كتاب «تاريخ التراث العربي» لسزگين، وبعض كتب الدكتور علي النشار، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي.

---

(١) السابق: ٤٥/ ٤٣٨.

(٢) معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديمًا وحديثًا، تتمة كتاب الفهرست للشيخ أبي جعفر الطوسي، تأليف محمد بن علي شهر آشوب المازندراني، المتوفى ٥٨٨هـ - المطبعة الحيدرية - النجف ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م ص ٩٥، ٩٦.

(٣) انظر فهرست ابن النديم: ٢٦٤. المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٤٨هـ.

وراح عني الآن ذكرها .

وأما أبو زيد محمد بن عيسى بن محمد العلوي الحسيني فقد يستفاد من لقبه (العلوي الحسيني) أنه أيضًا من جملة الشيعة ، ولم أتمكن من الحصول على ترجمته ، ولكن مر بنا في النص السابق في ترجمة أبي جعفر بن قبة الرازي أن له كتابًا في نقض كتاب « الإشهاد » لأبي زيد العلوي ، فلعل هذا الأخير هو شيخ المؤلف (أبو زيد محمد بن عيسى بن محمد العلوي الحسيني) . ونقل كتاب « الإشهاد » هو المقصود بإشارة المؤلف . والله أعلم بالصواب .

فإذا ما عاودنا النظر مرة أخرى في نص كلام صاحب المخطوط الذي بين أيدينا قبل ذكره لأسماء العلماء السابقين ، وفي عيادته : « وما بينه شيوخنا ...» ، خرجنا للوهلة الأولى بأن مؤلف هذا الكتاب في إعجاز القرآن هو نفسه من علماء الشيعة الاثنا عشرية ، قد يرشح لهذا أنه في مواضع كثيرة من المخطوط كلما جاء ذكر النبي ﷺ ، أتبع ذلك بالصلاة عليه وعلى آله ، إلا أنه قد يعكر صفو هذا الاستنتاج أني وجدته في موضع آخر يرد على الإمامية بما يكشف عن أنه ليس منهم[1] .

وقد أوقعني هذا في شيء من الحيرة ، إذ كيف يفتتح كتابه بذكر شيوخه وهم من علماء الشيعة ، ثم نجد في ثنايا كلامه ما يصرح بأنه ليس من الشيعة ؟! مع ما يرد في ثنايا كتابه من إتباع الصلاة على النبي ﷺ بالصلاة على الآل

(١) انظر المخطوط ص ٢٨ س ٣ ، ١٧٩ س ١ ، ١٨٠ س ٧ من أسفل .

أيضًا الأمر الذي لم يتخلف في موضع واحد من الكتاب !

والذي يظهر لي أن صاحب هذا المخطوط من طائفة المعتزلة لا الشيعة ، وإن كان بعض شيوخه من الشيعة ، والمتتبع لتراجم علماء الشيعة يجد أن جلهم كانوا ينتحلون مذهب المعتزلة في العقيدة ، وقل أن نجد ترجمة لأحد علمائهم البارزين إلا ونجده في أصوله ينتسب إلى المعتزلة ، وقد بدأ التقارب بين الطائفتين ، وبخاصة بين الشيعة الاثنا عشرية ومعتزلة بغداد قبل عصر المؤلف .

وممّا يقوى أن صاحب هذا المخطوط معتزلي أكثر منه شيعي - وإن لم يخل من ميول شيعية - أنه في بيانه لمباينة القرآن لغيره من كلام البشر وارتفاعه في ذلك عنه قال عقيب ذلك : « وعلى هذا تجد فيه الوعد والوعيد وأدلة العدل والتوحيد »[1] ، والعدل والتوحيد ، والوعد والوعيد من أصول المعتزلة المميزة ، وقد سبق كلام صاحب أعيان الشيعة في إطلاق لقب « الوعيدية » على المعتزلة من أتباع عمرو بن عبيد . وقد ورد في المخطوط الذي بين أيدينا ذكر بعض شيوخ المعتزلة عند المؤلف مثل أبي الهذيل العلاف[2] ، والجاحظ ، ونقل المؤلف نصوصًا من كتاب الجاحظ : « الفرق بين النبي والمتنبي »[3] .

أما ما ورد من إتباع المؤلف الصلاة على النبي ﷺ بالصلاة على آله فلا يلزم منه أنه شيعي ، فهناك غير واحد من أهل العلم السابقين يسلك هذه العادة بإتباع

---

(١) المخطوط : ص ١٣٨ .

(٢) المخطوط : ص ١٥٨ .

(٣) المخطوط : ص ١١، ١٨ س٢ .

(١) المخطوط : ١٤٦ - ١٤٧ .

الصلاة على النبي الصلاة على الآل ، وإن لم يكونوا من الشيعة ، وقد يكون هذا تصرفًا من ناسخ الكتاب . واللَّه أعلم بالحال .

٣- من الإشارات - بين ثنايا كلام المؤلف - التي فيها وصف لحال عصره ما ذكره من عز الإسلام في زمانه وانتشار الفتوح الإسلامية وعمومها الأنحاء المعروفة ، ودخول بلاد العرب كلها ، والعجم أيضًا في زمانه في الإسلام ، وأن الفتوح ما زالت مستمرة ؛ إذ يقول المؤلف : « ثم أنجز اللَّه وعده لنبيه ﷺ بإظهار دين الإسلام ونشر دعوته في الآفاق ، وطبقت الشرق والغرب ، وعمت العجم والعرب ، وتخلصت إلى الروم والهند والترك من بلاد الإسلام . والفتوح الآن متصلة ترد بها الأخبار من النواحي والأقطار ، فأما بلاد العرب والعجم بحمد اللَّه ومنه قد صارت كلها بلاد الإسلام ، ولم يبق أهل ملة من الملل ولا أمة من الأمم إلا نفذ فيها حكم الإسلام حتى صار هذا الدين أعلى الأديان كلمة ، وأرفعها حكمة ، ولو كره المشركون »[1] .

٤- يبدو للناظر في هذا المخطوط أن مؤلفه كان على ثقافة كلامية واسعة ، واطلاع على كتب أصحاب الديانات المخالفة من اليهود والنصارى ، ونجده ينقل عن هذه الكتب ويحاج أصحابها[2] .

وقد أبان المؤلف من الصفحات الأولى أن غرضه من كتابه هذا الإبانة عن معجزات نبينا ﷺ والاحتجاج لها ، وأنه لا يطمع في الزيادة على ما قاله السلف

(٢) انظر المخطوط : ١٨٢ - ١٩٠ .

(١) المخطوط : ٢ .

غير أنه سيدلي بدلوه أيضًا[1] . فكان حديثه الطويل عن إعجاز القرآن الكريم الذي استغرق حوالي مائة وستين صفحة من الكتاب البالغ مائة واثنتين من الصفحات[2] . وقد أشار المؤلف من بداية حديثه أنه لن يقتصر على ذكر القرآن معجزة له ﷺ ، وأنه سيفرد في كتابه - إن يسر اللَّه - بابًا لذكر المشاهير من معجزاته ﷺ سوى القرآن[3] . وقد عاد بالفعل إلى ذكر ذلك بعد فراغه من الحديث عن إعجاز القرآن ، وإن كان في صفحات قليلة[4] .

٥- ومن بين الإشارات في ثنايا كلام المؤلف - التي لعلها تساعد أيضًا في تحديد أحوالِ عصره - تعجبه من بعض من كان يتعاطى الفصاحة في زمانه ويدعي البلاغة ، ومع ذلك يبدي إعجابه بكلام لطليحة الأسدي المتنبئ . يقول المؤلف : (وقد رأيت بعض من يتعاطى الفصاحة ويدعي البلاغة من أهل عصرنا هذا يعجب بفصل يحكيه عن طليحة الأسدي وهو : « ما يفعل اللَّه بتعفير خدودكم ، وفتح أدباركم . اذكروا اللَّه أعفة[5] قيامًا » . وكان يقول : ما هذا بكلام رذل ، وكان يرشح به ما كنت أقدر أنه منطو عليه)[6] .

لكن متأدبي عصره ليسوا كلهم من هذا النوع ، فمنهم من يتمتع بذوق أدبي رفيع ، ومن هؤلاء من يشير إليه المؤلف في حديثه عن « التجنيس » يقول :

---

(٢) انظر الفهرست التفصيلي لمسائل هذا المخطوط الملحق بهذا البحث .

(٣) انظر المخطوط : ٢٣ س ٨ من أسفل .

(٤) انظر المخطوط : ١٦٠ .

(٥) كذا بالمخطوط .

(٦) المخطوط : ٣٣ س٦ من أسفل .

(وسمعت بعض أهل الأدب يقول : إن القليل من التجنيس يحسن الكلام ، والإكثار منه يسلب الكلام بهجته . قال : ومثله كمثل الخال في الحسناء ، في أنه يزيدها حسنًا ، فإن كثرت الخيلان حتى تستولي على عامة جسدها كستها الوحشة ، وسلبتها البهجة . وصدق فيما قال ...)[1] .

٦- وهذا يجرنا إلى سمة بارزة في أسلوب مؤلف هذا الكتاب - يلمسها كل من له بصر بصناعة النقد والبلاغة - هي نصاعة أسلوبه ، وبيانه العربي الفصيح ، الذي لم تؤثر عليه أساليب المتكلمين ومصطلحاتهم . فإن كان صاحب هذا المؤلف على درجة عالية من صناعة الكلام والجدل - كما قيل عنه - فهو من ناحية أخرى ذو شأو عال في الأدب وذوق الكلام والتفريق بين جيده ورديئه ، والبصر بنقد الشعر والكلام ، ومعرفة طبقات الحسن فيه . وهذا واضح كل الوضوح فيما ساقه من حديث حول إعجاز القرآن ، وما تضمنه من صور البديع ، وهو ما لفت نظري إليه ، وجعلني أُقدم على هذه المحاولة لتمهيد السبيل إلى درسه ، بالتعريف به ، وبيان طبيعته وخصائصه ، وإبراز محتوياته ، وقيمته النقدية والكلامية ،

(١) المخطوط : ١٢٦ .

- ب -

إعجاز القرآن في النظم والفصاحة معًا :

يرى المؤلف أن إعجاز القرآن لا يمكن أن يكون في النظم فقط ، أو في الفصاحة فقط ، وأن الإعجاز فيهما - مقترنين - معًا . يقول المؤلف : « اعلم أن من الناس من ذهب إلى أن القرآن لم يتعذر الإتيان بمثله لشيء من أوصافه ، وإنما الإعجاز هو الصرف عنه ، ومنهم من قال : إن الإعجاز هو في الفصاحة المجردة ، وأنها قد بلغت الحد الذي يتعذر الإتيان بمثلها على جميع البشر . وهذا قول الأكثر من المتكلمين . ومنهم من ذهب أن الإعجاز إنما هو في النظم المخصوص الذي تميز به القرآن عما سواه . ومنهم من ذهب إلى أن الإعجاز فيهما جميعًا أعني النظم مع الفصاحة البالغة أعلى طبقات الفصاحة . وهذا هو الذي يصح عندي ويتضح لدي[1] » .

ومن يتأمل مصطلح « النظم » في عبارة المؤلف - هنا - يتبين له بعد شيء من النظر المتأني أنه لا يريد به المعنى الذي شاع عندنا ، والمشهور عن شيخ البلاغة العربية عبد القاهر من أنه وضع الكلام على مقتضى قوانين النحو[2] ، وإنما يريد به ما يقرب من دلالة مصطلح « الأسلوب » في النقد المعاصر ، وسياق كلامه في نقل أقوال العلماء في مسألة الإعجاز يكشف عن ذلك ، فنجده يجمع

---

(١) المخطوط : ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) انظر دلائل الإعجاز : ٨١ ، تحقيق محمود محمد شاكر - ط الأولى - مكتبة الخانجي - مصر ١٩٨٤م .

بين مصطلحي « نظم » و « أسلوب » ، ويستعملهما بنفس المعنى ، يقول المؤلف في معرض رده قول أصحاب « الصرفة » : « ... لأن « الصرف » لم يقع منه عن جميع الكلام ، وإنما وقع عن كلام له صفة مخصوصة ، وتلك الصفة لا بد أن يكون هو الأسلوب أو الفصاحة أو هما جميعًا ... والذي يبين صحة ما اخترناه وادعينا صحته أنه لا يخلو من أن يكون الإعجاز فيه تعلق بالأسلوب المجرد ، أو الفصاحة المجردة ، أو بهما جميعًا ، ولا يصح ادعاء من يدعي تعلقه بالنظم والأسلوب فقط ، لأنا نعلم ضرورةً أنّ تميز نظم القرآن عن سائر أساليب الكلام المنثور كأسلوب الخطب ، وأسلوب الرسائل ، وأسلوب كلام الكهنة وأسجاعهم ، وأسلوب المحاورات ، ليس بأكثر من تميز بعض هذه الأساليب عن بعض . وقد علمنا أن من تقدم في هذه الأساليب حتى بلغ فيها الغاية لا يجوز أن يتعذر عليه الأسلوب الآخر حتى لا يمكنه أن يأتي بشيء منه ، وإن لم يمكنه التصرف فيه وبلوغ الغاية كما أمكنه في النظم الآخر . بيان ذلك أن الخطيب المصقع ، وإن تعذر عليه إنشاء الرسائل على الغاية التي تطلب لها ، فليس يتعذر عليه جملة ، بل لا بد من أن يتمكن من إنشائها في الطبقة الدنيا والوسطى . وكذلك من تقدم في صناعة الرسائل ، هذا حكمه في الخطب . وكذلك المقدم في المحاورات المتناهي فيها . فإذا ثبت ما بيناه صح ووضح أن من تقدم وبرع في بعض هذه الأساليب حتى فاق نظراءه وقرع أكفاءه لا يتعذر عليه الإتيان بأسلوب القرآن في الطبقة الدنيا ، فيصح بما بيناه أنه لا يمكن أن يقال : الإعجاز تعلق بمجرد النظم ، ولا يمكن أن يقال إنه تعلق بمجرد الفصاحة ...»[1] .

(١) المخطوط : ٩٨ ، ٩٩ .

والمتأمل في هذا النص، وفيما ورد فيه من تكرار هذه المصطلحات: «أسلوب، وأساليب، ونظم» يطمئن إلى أن المؤلف يريد بها معنى واحدًا. فالكلام العربي - عنده - يأتي على أساليب مختلفة، ومن هذه الأساليب الرسائل، والخطب، والمحاورات، والأسجاع، ولا يكاد يخرج كلام منشئٍ أديبٍ عن أسلوب من هذه الأساليب، أو بعبارة أخرى عن نظم من هذه النظوم.

وهذا الحصر لأساليب الكلام العربي - عنده - أو نظومه، ذكرني بما رأيته قريبًا منه عند الراغب الأصفهاني في مقدمة كتابه «جامع التفاسير»، حيث جعل أقسام النظم خمسة: الأول: أن يضم المتكلم حروف التهجي بعضها إلى بعض حتى تتركب منها أقسام الكلمة الاسم والفعل والحرف. والثاني: ضم هذه الكلمات معًا حتى تنتظم منها الجمل المفيدة، وهي النوع الذي يتداوله الناس جميعًا في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم، وهو المنثور من الكلام. والثالث: أن يراعى بعض الصنعة في ضم الكلمات بعضها إلى بعض، فيظهر فيه بعض التعمّل وهو ما يسمى بالمنظوم. الرابع: أن يراعى في أواخر الكلمات التسجيع فيخرج «المسجع». الخامس أن يراعى إلى جانب التسجيع الوزن فيخرج له الشعر[1].

ثم يعلق الأصفهاني على هذه القسمة الخماسية للنظم بقوله: «وبالحق صار كذلك؛ فإن الكلام إما منثور فقط، أو مع النثر نظم، أو مع النظم سجع، أو

(١) انظر: مقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني: ١٠٦، ١٠٧. تحقيق د. أحمد حسن فرحات - دار الدعوة - الكويت. د ت.

مع السجع وزن . والمنظوم : إما محاورة . ويقال له : الخطابة ، أو مكاتبة ، ويقال لها : الرسالة ، وأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الجملة . ولكل من ذلك نظم مخصوص »[1] .

الإعجاز بالصرف : يرفض المؤلف أن يكون إعجاز القرآن في « الصرفة » ، وهو يرد على هذا المذهب بالإبطال بحجج واضحة جلية ، ويناقش أصحابه بما يكشف عن فساد زعمهم . يقول المؤلف : « فأما قول من يقول : إن الإعجاز في الصرف عن القرآن فهو عندي بعيد جدًّا ؛ لأن الصرف عن الشيء يمكن أن يُدَّعَى إذا علم أنه مقدور عليه غير متعذر وجود مثله ممن ادُّعَى أنه مصروف عنه . وليس هاهنا ما يبين أن الإتيان بمثل القرآن كان ممكنًا للعرب غير متعذر عليهم ، بل قد دلّلنا على خلاف ذلك ، فبانَ سقوطُ قول من ادعاه .

وأيضًا القول بذلك يؤدي إلى أن لا يُعرف الفرق بين ما يتعذر على الناس وبين ما لا يتعذر ؛ لأنه لو جاز لهم أن يقولوا إن العرب صُرفوا عن الإتيان بمثل القرآن ، فإن لم يثبتْ تأتيه منهم لجاز أن يقال : إن الناس صُرِفوا عن فعل الأجسام والألوان والحياة والقدرة ، وإن لم يثبت أن شيئًا منه متأت منهم ، وهذا واضح السقوط ، فكذلك القول في الصرف عن القرآن »[2] .

ونجد المؤلف يستقصي بيان تهافت حجج من قال بالصرفة في إعجاز القرآن ، فيتوجه إلى بعض شبههم ويبين عما فيها من السقوط ، فيناقشهم في دعواهم أن العربي يقدر أن يقول : « الحمد لله » ، وأن يقول : « رب العالمين » ،

---

(١) السابق : ١٠٧.

(٢) المخطوط : ١٠٦.

ولا يتعذر عليه أن يقول : « الرحمن الرحيم » ، وهكذا إلى آخر القرآن ، ثم إذا أراد أن يأتي بمثل القرآن فإنه لا يستطيع ، فكيف كان ذلك ؟ إن هذا ليس له عندهم إلا تفسير واحد : هو صرف الله لهم عنه .

ويتجه المؤلف إلى إبطال هذه الشبهة بكلام ناصع البيان والحجة يكشف عن ذوق أديب عالم ؛ يقول المؤلف : « وأما سؤال من يسأل من أهل هذه المقالة فيقول : إذا كان الإنسان قادرًا على أن يقول : « الحمد لله » ، ويتأتى منه أن يقول : « رب العالمين » ، وغير متعذر عليه أن يقول : « الرحمن الرحيم » ، ولا أن يقول : « مالك يوم الدين » ، ثم كذلك إلى أن يأتي على جميع القرآن ، فما الذي يمنعه من الإتيان بمثله ؟ ومتى يحصل التعذر ، عند أولى الكلمة[1] ، أو عند الثانية ، أو الثالثة ، أو ما بعدها ، وذلك مما لا يصح ، فيثبت أن الإعجاز هو الصَّرفُ - فإنه[2] من ركيك السؤال ؛ لأنا قد بينا فيما تقدم أن إنشاء الخطبة أو الشعر أو الرسالة - ونظم القرآن في أعلى طبقات الفصاحة - يحتاج إلى علم زائد على العلم بالنظم والفصاحة ، وأن ذلك العلم الزائد هو الذي يعبر عنه بالطبع ، فلا وجه لهذا السؤال .

على أنا نوضح سقوطه بأن نقول لهذا السائل : أليس قد علمت أن كل أحد ممن يعرف لغة العرب يمكنه أن يقول : « فإنك » ، ويمكنه أن يقول : « كالليل » ، ويمكنه أن يقول : « الذي » ، ولا يتعذر عليه أن يقول : « هو مدركي ، ويتأتى منه أن يقول : وإن خلت أن المنتأى » ، ولا يتعذر أن يقول : « عنه واسع » ، أفترى أن كل من يعرف لغة العرب يمكنه أن يأتي بمثل قول النابغة :

---

(١) كذا في المخطوط . ولعلها : الكلمات .

(٢) قوله : (فإنه من ...) جواب قوله سابقا : (وأما سؤال من يسأل ...) .

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

فيقال له : فمتى يحصل التعذر له عند أول لفظة أو عند الثانية أو الثالثة أو ما بعدها ! ثم يلزم ذلك في جميع أشعار العرب وخطبهم .

وهذا فساده أظهرُ من أن يُحتاج له إلى الإطناب ، ولا بد لهذا السائل من الرجوع إلى ما تقدم من جوابنا . ولهذا قالوا : إن الشاعر المفلق هو الذي ترمى قريحته بالبيت بعد البيت ، والمتوسط من يأتي بالمصراع بعد المصراع ، والمتكلف من يأتي بالكلمة بعد الكلمة حتى يؤلفها شعرًا . وليس الفاصل بين الشاعر الأول والثاني والثالث إلَّا العلوم التي أشرنا إليها المعبر عنها **بالطبع** . وهكذا أحوال الخطباء والمترسلين ، منهم من يستجيب طبعه إلى أن يأتي بالفصول بعد الفصول ، والأسجاع بعد الأسجاع ، بحيث لا يكاد يتسلسل عليه ماء العذوبة ، ويبعد عن التكلف والتعسف . ومنهم من يؤلف الكلمة إلى الكلمة ، والسجعة إلى السجعة متعمدًا لها حتى تكاد تنادي على نفسها بأنها متكلفة متعسفة ، فليس الفاصل بينهم إلا الطبع[1] .

وهذه الإجابة الشافية بناها المؤلف على ما أسماه بعلم « الطبع » ، وأنه شيء آخر وراء العلم بالنظم والفصاحة . وهو كلام هام يجب التوقف عنده ، فلا يكفي للواحد أن يكون عالماً بالنظم وبعلم الفصاحة حتى يتيسر له الإتيان بما يريد من نظم ، بل لا بد له من هذا العلم الثالث الذي سماه المؤلف « علم الطبع » .

وهو يعني عنده ما يقرب من قولنا : « المَلَكة » ، أو الموهبة ، وهي القدرة على إنشاء النص الفصيح ، وهذه الملكة شيء آخر بخلاف العلم بالقواعد

---

(١) المخطوط : ١٠٧ ، ١٠٨ .

والقوانين، وهي تحتاج إلى ممارسة، مَثَلُها مثلُ المهن الأخرى والصناعات[1]؛ ولهذا رغم علم الأئمة الكبار بقوانين النظم والشعر فلم يمكنهم الإتيان بمثل شعر امرئ القيس مثلًا. يقول المؤلف: «...إنا نعرف من حال الخليل والأصمعي ومن جرى مجراهما أنهم كانوا يعرفون الفصاحة، ولم تكن تتعذر عليهم، وكانوا يعرفون وزن الشعر، ولم يكن يتعذر، ومع هذا نعلم أن واحدًا منهم لم يكن يمكنه أن يأتي بمثل أشعار امرئ القيس والنابغة والأعشى فمن دونهم من فحول الشعراء، وليس السبب فيه إلا ما ذكرنا[2]. ولهذا نجد من تفاصح في كثير من أجناس النظم إذا طلب منه نظم القرآن سقط دون غرضه وهبط دون مرتقاه، وليس ذلك إلا أنه يفقد العلم الذي معه يصح إيقاع الفصاحة في هذا النظم المخصوص[3]».

ويرى المؤلف أن الإعجاز لو كان من جهة «الصرف» لكان «الصرف» هو المعجز، ولم يكن القرآن نفسه، والأمر بخلاف ذلك، فالإجماع على أن معجزة رسول الله ﷺ هي القرآن. ويستدل على ذلك بالقرآن والأثر؛ يقول المؤلف: «على أن الإعجاز لو كان من جهة الصرف لكان الصرف هو المعجز، ولم يكن القرآن معجزًا، وهذا خلاف ما يعرف من دين المسلمين؛ لأن المسلمين مجمعون على أن الله تعالى جعل القرآن معجزًا لنبيه ﷺ، ويدل على ما قلناه أيضًا من كون القرآن في نفسه معجزًا ما حكى الله تعالى، حيث يقول: ﴿ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر﴾. وما ذكر من

---

(١) انظر كلام المؤلف في هذا: ١٠٣ - ١٠٥.

(٢) الإشارة في كلام المؤلف يقصد بها فقد هؤلاء الأعلام لما يلزم لمثل هذا العمل، وهو ما سماه بـ«علوم الطبع»، وهي عنده - كما أشرنا - ملكة أخرى وراء مجرد العلم بالفصاحة.

(٣) المخطوط: ١٠٥.

اجتماع أبي جهل وعتبة بن ربيعة في ملأ من قريش يتعجبون من القرآن حتى قالوا: يحتاج إلى رجل يعرف الشعر، ويعرف كلام الكهنة. فقال عتبة بن ربيعة: أنا لذلك، ومضى إلى رسول الله ﷺ، فتلا عليه قوله تعالى: ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾، حتى مر في السورة، وانتهى إلى قوله: ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾. فقام مرعوبًا مدهوشًا وقال: سمعت الشعر، وسمعت كلام الكهنة، وما هذا شيئًا من ذلك!

وإلى سبائر ما يذكر من تحيرهم في أمر القرآن، فلو كان القرآن أمرًا لا يتعذر مثله على العرب، وإنما صرفوا كان لا يتعجب منه المتعجب، ولا يحار فيه الحائر، وإنما كان يكون التعجب والحيرة في صرفهم. ألا ترى أن نبيًا لو قال: «معجزتي أن أكلمكم اليوم إلى المساء بما تكرهون، فلا يمكن لأحد منكم أن يجيبني؛ لأنكم تصرفون عنه، كان الإعجاز في صرفهم، وهو الذي يكون أعجوبة، وفيه يحار من يحار، دون مخاطبته المعهودة لهم. وكذلك يجب أن يكون حال القرآن والصرف على أوصافهم لو كانت صحيحة. وفي جرى الأحوال على خلاف ذلك دلالة على فساد قولهم[1]».

وللمؤلف في ختام مجادلته أصحاب الصرفة قول غريب يصيب قارئه بالدهشة، وهو أنه لا يبعد عنده أن يكون الإعجاز بالصرفة قد وقع في السور القصار من القرآن. وحجته أن مثل هذه السور في نظمها وفصاحتها لا يتعذر؛ يقول المؤلف: «فأما السور القصار فليس يبعد عندي أن يقال: إنهم صرفوا عن الإتيان بمثلها، إذ ليس يظهر لنا في نظمها وفصاحتها ما يمكن أن نقول: إن الإعجاز يتعلق به. وهذا فيه نظر. واللَّهَ أسأل حسنَ التوفيق»[2].

---

(١) المخطوط: ١٠٨، ١٠٩.

(٢) المخطوط: ١٠٩.

ونهاية كلام المؤلف في قوله : (وهذا فيه نظر ...) توحي بشيء من التردد في حكمه الذي سلف ، وأنه لم يقطعه قطعًا ، وأنه مجالٌ لإعادة النظر واستيفاء البحث ، ومن هنا كان توجهه إلى اللّه بطلب حسن التوفيق .

فصاحة القرآن :

اهتم المؤلف ببيان أن القرآن في أعلى درجات الفصاحة ، وذكر أن هذا لا يتضح إلا ببيان جمل من أقسام الفصاحة ، ثم بيان أن نظم القرآن محتو عليها مع مزيته المتفردة في ذلك . يقول المؤلف : « الكلام في بيان أن القرآن في أعلى طبقات الفصاحة : اعلم أن هذا لا يتم إلا بأن نبين جملًا من أقسام الفصاحة ، ثم نبين أن نظم القرآن مشتمل عليها ، ونبين مزايا القرآن فيها ، ونلحق بذلك ما يكشف عن غرضنا من هذا الباب كشفًا يوضحه ولا يبقى معه لمرتاد الحق شبهة بعون اللّه وحسن توفيقه »[1] .

وكلامه عن أقسام الفصاحة في هذا الموضع من كتابه له أهميته عند الباحثين في تطور المصطلح البلاغي ، وفي تاريخ مسألة إعجاز القرآن . وفيها ما يستحق الدرس والتأمل .

وأقسام الفصاحة عنده ، كما ذكرها ، هي :

- أن يكون الكلام مركبًا من اللغات الفاشية بين العرب التي لم يترذّلها أحد .

---

(١) المخطوط : ١١٠ .

- وأن يكون الكلام مؤلفًا من لغات ترتفع عن المبتذل السوقي ، وتنحط عن المتثقل الحوشي .

- وجزالة اللفظ وعذوبته .

- والاستعارات والتشبيهات .

- والإيجاز .

- والتجنيس .

- والتطابق .

- والفواصل (الأسجاع) .

- والتلاؤم .

- وحسن التصرف .

هذه هي الأقسام العشرة من أبواب الفصاحة التي ذكرها المؤلف على ترتيب ورودها في كلامه . وسنتوقف أمامها بشيء من الفحص ، ونحاول مقارنتها بما عند بعض معاصريه كالرماني والباقلاني .

أما الرماني ؛ فالبلاغة عنده على عشرة أقسام أيضًا ؛ هي حسب ترتيب ورودها في كتابه : الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان .

وبالمقارنة بينهما نجد أنهما قد اشتركا في ستة من هذه الأقسام هي :

الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس .

ولعل ما يسميه الرماني التصريف هو ما يسميه صاحبنا حسن التصرف، وما يسميه الرماني «البلاغة» هو ما يسميه صاحبنا «الفصاحة»؛ إذ لم يكن التخصيص للبلاغة بالمعاني، والفصاحة بالألفاظ معروفًا عند المتقدمين، حيث جروا على إطلاق المصطلحين «البلاغة، والفصاحة» مترادفين.

وقد عرف الرماني «البلاغة» بقوله: «وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة من اللفظ»[1]. وهذا التعريف نجد قريبًا منه في تعريف صاحبنا للفصاحة، حيث يقول: «اعلم أن أصل الفصاحة هو الإبانة عن المعنى المقصود بحسن البيان»[2].

أما **الإيجاز**؛ فهو القسم الأول من أقسام البلاغة عند الرماني، وهو الخامس في ترتيب صاحبنا. ويلاحظ اشتراكهما أيضًا في قسمة الإيجاز إلى قسمين: إيجاز بالحذف، وإيجاز بالقِصَر، أي تقصير عدد الكلمات والحروف. قال الرماني: (والإيجاز على وجهين: حذف وقصر[3]. فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام. والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف)[4]. ويقول مؤلف المخطوط الذي بين أيدينا: (ومن أقسام الفصاحة الإيجاز، وذلك ينقسم قسمين: قد يكون بتقليل

---

(١) النكت في إعجاز القرآن: ٦٩. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - تحقيق د. محمد خلف الله أحمد و زغلول سلام - ط الرابعة - دار المعارف - القاهرة ١٩٩١م.

(٢) المخطوط: ١١٠.

(٣) ضبطها محققا «النكت» للرمّاني بفتح القاف وإسكان الصاد. وأظن الصواب بكسر القاف وفتح الصاد. وهو ما يلائم سياق كلام المؤلف.

(٤) النكت: ٧٦.

الحروف مع استيفاء المعنى، وقد يكون بالحذف. والحذف يكون على أنحاء شتى)[1].

ووجود هذه القسمة الثنائية للإيجاز في هذا المخطوط تجعل الباحث يتوقف مترددًا في قبول مقالة أن الرمانيَّ هو أول من ذهب إلى ذلك، فقد يكون صاحب هذا المخطوط أسبق وانتقلت منه إلى الرماني، وقد يكون العكس وأنها انتقلت من الرماني إليه. وهناك احتمال ثالث أن يكون الاثنان مشتركين في الأخذ عن مصدر ثالث سابق عليهما. وهذه احتمالات واردة لا يحلها إلا كشف هوية صاحب هذا المخطوط الذي بين أيدينا.

ويمكن القول بأن تناول المخطوط الذي معنا لهذا المبحث أعمق وأشمل من تناول الرماني لما ساقه من أمثلة.

وأما الباقلاني فلم يزد على أن اختصر كلام الرماني وساق أقسام البلاغة العشرة عنده دون ذكره صريحًا، مشيرًا إليه ببعض أهل الأدب[2].

التشبيه والاستعارة:

يلاحظ أن صاحب المخطوط الذي بين أيدينا جمع بين التشبيه والاستعارة في قسم واحد، وعلل لذلك بأن كلًّا منهما قريب من الآخر، وإن كان بينهما فضل تفاوت[3].

---

(١) المخطوط: ١٢٠.

(٢) راجع إعجاز القرآن للباقلاني: ٢٦٢ - تحقيق السيد أحمد صقر - ط الخامسة - دار المعارف - القاهرة.

(٣) انظر المخطوط: ١١٥.

وقد عرف كلًّا من الاستعارة والتشبيه مفرقًا بينهما، فقال: (التشبيه هو أن يَذكر الشيء باسمه ويشبهه بغيره كقولك: زيد كالأسد شجاعة، وكالبحر جودًا، وكالبدر حسنًا، والاستعارة أن ننقل إليه اسم الشيء المشبه به؛ وذلك كقولك: «هو بدر، وأسد، وحمار إذا وصفته بالبلادة، أو «كلب» إذا وصفه بالخساسة[1]».

والمتأمل لهذا النص يجد أن المؤلف يطلق مصطلح «الاستعارة» على ما نعرفه باسم التشبيه البليغ. ونجده يستعمل مصطلح «الاستعارة» في مواضع أخرى بمعناها الذي استقر لها عند المتأخرين فنجده يقول مثلًا: «ومن الاستعارات الحسنة قوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾، وقوله: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾. فجمع بين الاستعارة الحسنة والجزالة البالغة والعذوبة الطلقة. وأخذ هذا المعنى الكميت فقال:

خفضت لهم مني جناحي مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب[2]

ويقول: «ومن الاستعارات الحسنة العجيبة العذبة مع الجزالة قوله تعالى: ﴿واشتعل الرأس شيبًا﴾، فاستعار للابيضاض اسم الاشتعال مصبوبًا في قالبه مقصورًا عليه. وهذا من الفصاحة البالغة[3]».

ونجده يتوسع في إطلاق مصطلح الاستعارة حتى يشمل عنده ما يسميه المتأخرون بالمجاز المرسل أيضًا، فعنده أن قوله تعالى: ﴿اللَّه نور السموات

(١) المخطوط: ١١٥.
(٢) المخطوط: ١١٥.
(٣) المخطوط: ١١٧.

والأرض﴾ من قبيل الاستعارة، حيث سمى اللّه سبحانه نفسه باسم «النور» لما كان سبحانه خالقه ومنشئه. يقول المؤلف: «وهذا من الاستعارة الحسنة وهو تسمية الفاعل بفعله». ومنه قول الشاعر:

ترعى إذا غفلت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار[1]

وهو في هذا متابع لابن قتيبة في استعماله «الاستعارة» بهذا المعنى، حيث يقول: «فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاورًا لها أو مشاكلًا ...»[2] إلخ.

التلاؤم:

وحديث المؤلف عن «التلاؤم» أعمق أيضًا وأدق نظرًا منه عند الرماني. وعنده أن هذا «التلاؤم» هو العمدة في باب الفصاحة، وأنه يختلف عن باقي أبواب الفصاحة كلها، فهي جميعًا - عدا التلاؤم - يمكن التصنّع لها بالتعليم والتمرن واحتذاء آثار السابقين فيها، أما «التلاؤم»، فلا يمكن فيه مثل هذا؛ لأن مرجعه إلى الطبع المخصوص[3].

والتلاؤم - عند المؤلف - درجة عالية فوق جودة السبك، ورصانة النظم، ينشأ عنها - كما يقول - «العذوبة والحلاوة، وعنه يكون حسن ديباجة الكلام، ولهذا تجد الكلام المنظوم أو المنثور جيد السبك رصين النظم نافرًا عن

(١) المخطوط: ١١٨.

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن: ١٣٥، تحقيق السيد أحمد صقر - القاهرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٩م.

(٣) انظر المخطوط: ١٢٩.

الطبع إذا لم تحصل له العذوبة التي يكون سببها التلاؤم[1] » .

والتلاؤم عنده على أقسام ، فهناك : تلاؤم الحروف ، وتلاؤم الحركات والسكنات ، وتلاؤم المعنى . « فإذا اجتمعت هذه الوجوه خرج الكلام غاية في العذوبة . وفي حصول بعضها دون بعض انحطاط درجة العذوبة عن الغاية »[2] .

ويرى المؤلف أن كل أقسام الفصاحة إن وقعت في الكلام مع عدم تحقق التلاؤم كان ذلك تكلفًا ظاهرًا ، وأن اليسير منها مع التلاؤم كثير القدر وشريفه . وكلام المؤلف هنا غاية في الإبانة ، وفي الكشف عن ذوقه الأدبي الرفيع ؛ حيث يقول : « وسائر أقسام الفصاحة مع عدم التلاؤم يعد تكلفا . وكلما ظهرت الصنعة أكثر كان الكلام أقرب إلى أن يكون تعسفًا . وإذا حصل التلاؤم عظم معه يسير الصنعة ، وشَرُف تأليف الكلام ووضعه . ألا ترى إلى قول الشاعر :

تمتعْ من شَميم عَرارِ نَجدٍ ... فما بعد العشيةِ من عَرارِ

ألا يا حبذَا نفحاتُ نجدٍ ... وَرَيّا رَوضِه بعد القَطارِ

لما حصل به التلاؤم حصل في النفس القبول التام ، مع قلة الصنعة فيه . ومن ذلك قول القائل :

ولمّا قَضَيْنا من مِنًى كلَّ حاجةٍ ... ومسَّحَ بالأركانِ من هو ماسِحُ

وشُدّتْ علَى دُهمِ المَهارَى رِحَالُنا ... ولم ينظُرِ الغَادي الذي هو رائحُ

---

(١) المخطوط : ١٢٩ .

(٢) المخطوط : ١٣٠ .

أخذْنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا وسالَتْ بأعناقِ المَطيِّ الأباطحُ

ألا ترى إلى ديباجته كيف حسنت وإلى عذوبته كيف ظهرت وإلى سلاسته كيف استُمرئت مع خلوه من الصنعة ووقوعه بالبعد عن التعمُّل؟

وهذا باب إذا تأملته في الأشعار والخطب والرسائل والمحاورات في الجد والهزل، وضح لك بيانه، وقام عندك برهانه[1].

ويروي المؤلف أن «التلاؤم» متحقق في القرآن كله من أوله إلى آخره «وإن كان بعض الآيات في الطبقة العليا منه، وبعضها في الطبقة الوسطى، وبعضها في الطبقة الدنيا»[2].

ولم يَحُدّ لنا المؤلف حدود كل طبقة من هذه الطبقات، ومن أين تبدأ، وإلى أن تنتهي، ولكنه ذكر عقيب ذلك كلامًا ينبئ عن أن التمكن من معرفة نقد الكلام تساعد على ذلك، ولا سيما إن انضاف إليها طبع جيد لناقدِ الكلام. يقول - رحمه الله -: «وأهلُ هذا الشأن يختلفون في أجناس ذلك والتبين له؛ فمن كان منهم أعرف بنقد الكلام كان إلى تبين ما ذكرنا أقرب، فإن ساعده على ذلك الطبعُ الجيدُ كان في طريق تصوره أذهب. وقد يكون في أهل كل صناعة من الشعر والخطب والرسائل مَنْ إذا سمع كلامَ غيره عرفَ صاحبَهُ وميز بين طبعه وطبع غيره؛ كما حكي أن جريرًا رأى ذا الرمة وهو ينشد قصيدة له أولها:

---

(١) المخطوط: ١٣٠، ١٣١.

(٢) المخطوط: ١٣١.

* بكت عيناك عن طلل بحزوى *

فقال له : ألا أمدك بأبيات تلحقها بشعرك ؟ فقال : بلى ، فقال :

يعد الناسبون بنى تميم بيوت المجد أربعة كبارًا

يعدون الرباب وآل تيم وسعدًا ثم حنظلة الخيارا

ويذهب بينها المرئي لغوًا كما ألغيت في الدية الحوارا

ثم أنشد ذو الرمة هذه القصيدة للفرزدق مع هذه الأبيات ، فلما انتهى إليها قال له : مه ، فإن هذه الأبيات لاكها أشد لحيين منك ، فميز بطبعه بين شعره وشعر جرير[1] .

ونجد المؤلف يعقب على ذلك بأن هذا الأمر ظاهر بين أهله ، وأنه أورد هذا ليبين أن من لا يمكنه الوقوف بطبعه على حدوث التلاؤم والميزة في نظم القرآن ، فليس هو في هذا عائبًا للقرآن ، بل له هو ؛ لأن العيب في طبعه السقيم .

ونجده أيضًا يشير إلى أمر هام في هذا القسم ؛ أعني التلاؤم . إن إدراكه ، والتنبيه عليه بحيث يظهر واضحًا لكل من يعرف العربية لا يمكن إمكانية باقي أقسام الفصاحة ، لأن العمدة في هذا على الطبع ليس إلا[2] .

ثم ساق المؤلف بعد ذلك بعض الأمثلة منبهًا بها المبتدئ والشادي ، فالقرآن كله من هذا النمط ، ولا وجه لذكر آيات مخصوصة . وقد أجاد المؤلف في عرضه هذا بما يكشف عن ذوق رفيع ، وطبع رهيف في إدراك

---

(١) المخطوط : ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) انظر المخطوط : ١٣٢ .

أسرار هذا النظم الكريم[1] .

وهو في هذا الباب مختلف بعض الشيء عن الرماني في قسمة أنواع التلاؤم ؛ حيث التلاؤم - عنده - في الكلام على قسمين : تلاؤم في الطبقة الوسطى ، وتلاؤم في الطبقة العليا[2] .

وقد اتفقا في أن جعلا المقياس في إدراك هذا التلاؤم والفطنة إليه مردها إلى الطبع المرهف[3] .

الفواصل :

ونجد المؤلف يطلق عليها أيضًا « الإسجاع » ، ويذكر أن من الناس من كره تسميتها بالإسجاع إذا كانت في القرآن . وهو يقلل من هذا الخلاف فيقول : « ومن أقسام الفصاحة الفواصل وهي الإسجاع ، ومن الناس من كره تسميتها بالإسجاع إذا كانت في القرآن لكن بيان المراد يغنى عن الاشتغال بالتسمية[4] » .

والرماني من هذا الفريق من الناس الذي يرفض تسمية الفواصلِ الإسْجَاعَ ، ويرى أن الفواصل بلاغة ، والإسجاع عيب ، وعلل لذلك بأن الفواصل تابعة للمعاني ، أما الإسجاع فالمعاني تابعة له[5] .

---

(١) انظر المخطوط : ١٣٢ - ١٣٥ .

(٢) انظر النكت للرماني : ٩٥ .

(٣) السابق ٩٥ .

(٤) المخطوط : ١٢٧ - ١٢٨ .

(٥) انظر النكت : ٩٧ .

ومع تجويز صاحب هذا المخطوط إطلاق تسمية «الإسجاع» على فواصل القرآن، فهو يقيده بأنه ليكون من أبواب الفصاحة، فلا بد فيه من عدم التعسف أو التكلف، وأن يكون نابعًا عن الطبع، وعليه رونق الطلاوة، ولا تنبو عن الأسماع أو تمجه الأفهام[1].

والإسجاع على نوعين عنده: ما كان بحروف متفقة، وهذا يسمى سجعًا نحو: ﴿قل هو اللّه أحد اللّه الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد﴾. وما كان بحروف مختلفة، وهذا يسمى موازنة، نحو قوله تعالى: ﴿الحمد للّه رب العالمين الرحمن الرحيم﴾. فآخر الآية الأولى النون، والثانية الميم[2].

تلك هي القسمة الثنائية لفواصل القرآن عند الرماني، وإن لم يسمها التسمية السابقة، فقد ذكر أنها على وجهين؛ ما كان من الحروف المتجانسة نحو قوله تعالى: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى﴾، والآخر ما كان من الحروف المتقاربة، نحو: ﴿الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ الميم والنون[3].

التجانس أو التجنيس:

التجنيس عند مؤلفنا هو نفسه ما سماه الرماني «التجانس»، وهناك بعض الاختلاف في تناوله عندهما، فهو عند الرماني على قسمين: تجانس مزاوجة

---

(١) المخطوط: ١٢٩.

(٢) انظر المخطوط: ١٢٨.

(٣) انظر النكت: ٩٨.

ومناسبة . فالمزاوجة نحو : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ﴾ ، ومنه : ﴿ إنما نحن مستهزئون اللّه يستهزئ بهم ﴾ ، أما المناسبة فمثل : ﴿ يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ . وهذا الذي سماه الرماني تجانس المناسبة هو الذي يسبق إلى الأذهان اليوم وهو ما توافق عليه معظم النقاد والبلاغيين ، أما ما أسماه بتجانس المزاوجة فهو معدود في باب آخر من أبواب البديع يعرف بالمشاكلة[1] .

وقد ذكر صاحب هذا المخطوط أن الاستكثار من الحروف المجانسة يوجب للكلام نوعًا من التنافر ، وأن فن التجنيس لم يكثر في القرآن ، ولا في أشعار المتقدمين ولا المطبوعين من المتأخرين ، وأنه قد استكثر منه المتكلفون من المتأخرين ، ويذهب المؤلف إلى التقلل من إيراد هذا الجنس من أجناس الفصاحة ، وأنه إذا وقع نتفا صغيرة حسن ذلك وزاد الكلام بهجة يقول : (وسمعت بعض أهل الأدب يقول : إن القليل من التجنيس يحسن الكلام ، والإكثار منه يسلب الكلام بهجته) . وقال : ومثله كمثل الخال في الحسناء في أنه يزيدها حسنًا ، فإن كثرت الخيلان حتى تستولي على عامة جسدها كستها الوحشة ، وسلبتها البهجة . وصدق فيما قال ؛ لأن الاستكثار من الجمع بين الحروف المجانسة توجب في الكلام ضربًا من التنافر ؛ ألا ترى إلى قول الأعشى :

وقد عدوت إلى الحانوت يتبعني شاو مشلٌّ شلُولٌ شُلشُل شَوِلُ

كيف ظهر عليه التنافر . وكذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

(١) انظر شرح عقود الجمان : ١١٠ ، ١١١ لجلال الدين السيوطي ، مطبعة مصطفى الحلبي - مصر ١٣٥٨هـ .

فأما إذا وقع ذلك في الكلام لمعًا، فإنه يزيده حسنًا وبهجة، فلذلك - والله أعلم - وجد في القرآن قليلًا، ولم يكثر[1].

حسن التصرف :

وهذا القسم من أقسام الفصاحة هو ما ختم به مؤلفنا حديثه عن أقسامها، وهو يختلف عما أسماه الرماني «التصريف»، وقد أفاض صاحب هذا المخطوط عما أسماه «حسن التصرف»، وجعله من كبير أقسام الفصاحة، وأنه من الأبواب التي لا يتوصل إليها بالتكلف والتعمل، بل لا بد فيه من طبع خاص، ومن هنا ظهر تفاضل الخطباء والشعراء وأصحاب الرسائل[2].

وكلامه في هذا القسم ككلامه في سابقه «الملاءمة أو التلاؤم»، يكشف عن ذوق أديب مرهف، عالم ببواطن الحسن، وتمايز تراكيب الكلام، وهذا من أهم ما يلزم لمن يتصدى لبحث قضية إعجاز القرآن وبلاغته. ونجده يشير إلى وقوع التفاوت في كل كلام بشري مهما كان بليغًا، فإنه سرعان ما يلحقه الوهن، ويتسلل إليه الضعف، ويمكن للناقد البصير كشف ذلك. أما القرآن فلا يمكنك من مبتدئه إلى منتهاه أن تجد شيئًا من هذا التفاوت. وكلام المؤلف هنا ثمين يُحتاج إلى نقله كله؛ فأنا أحيل عليه في موضعه؛ لضيق المقام، وقد طالت بنا حبال القول، فلعل فرصة أخرى تتاح لتقديم النص محققًا، بإذن الله تعالى، أو الجزء المتعلق منه بإعجاز القرآن. وهو سبحانه مصدر كل خير وولي كل نعمة، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

(١) المخطوط : ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) انظر المخطوط : ١٣٦ .

فهرست تفصيلي

بموضوعات المخطوط

- ذم المؤلف لطائفة الباطنية التي ارتفع ذكرها في عصرها، وتنبيهه إلى باطلهم وكفرهم ص ١ - ٢، وانظر ص ٣٠ س ١٠ .
- غرض المؤلف في كتابه هذا الإبانة عن معجزات نبينا محمد ﷺ ص ٢.
- المؤلف يذكر أنه لا يطمع أن يزيد على ما قاله السلف في هذا الباب، وأن عمله ما بين بسط موجز كلامهم، أو إيجاز مبسوطه ص ٢.
- كلام للمؤلف على مدة الفترات بين آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ... صلوات الله عليهم ص ٣ - ٧ .
- زمن تأليفه لكتابه قبل أربعمائة سنة من مبعث النبي ﷺ ص ٧ س ٢.
- المؤلف يقدم أمام غرضه من الكتاب فصلًا ذكره علماء أهل البيت وغيرهم، وهو أن معجزة النبي لقومه تكون في شيء برعوا فيه ص ٧، ٨.
- باب البيان عن إعجاز القرآن ص ٨ س ٤ من أسفل .
- الإعجاز في القرآن مبني على أن التحدي بالقرآن قد وقع ص ٩ ، ١٠ .
- فصل في أن التحدي بالقرآن قد وقع ص ١٠ .
- قول ساقط لبعض الملحدة والمتهودة من المتأخرين أنهم لم يحصل لهم العلم بأن النبي ﷺ قد تحدى بالقرآن ص ١٠ س الأخير، ص ١١.
- الجاحظ خفف القول في «التحدي» في كتاب «الفرق بين النبي والمتنبي» لظهوره وبيانه. ص ١١، وسيذكر المؤلف هذا الكتاب ثانية ص١٨ س ٢.
- ابن الراوندي وكتابه الفرند ص ١١، وله ذكر في صفحات ٣٠ س ٦.
- ابن الراوندي وكتابه الزمرد في إبطال النبوات ص ١١، ٣٠ س ٨.
- الإعجاز تعلق بنظم القرآن كما تعلق بمعانيه ص ١٣ س ١٠ .

- البرهان على أن القرآن الذي بين أيدينا هو الذي تلاه النبي ﷺ على الناس دون زيادة فيه أو نقصان، وهو مبحث طويل الذيول ص ١٥ س ٤ من أسفل.

- قد يكون الصرف من عظيم المعجزات ص ١٩ س ٧ من أسفل.

- عامة آيات التحدي إنما هي في السور المكية ص ١٩ س ٦.

- الآثار الواردة في اجتماع مشركي العرب على التشاور والنظر في حال القرآن. وقول الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة أو أمية بن خلف، ص ١٩ س الأخير، ص ٢٠.

- المؤلف يذكر أنه سيفرد في هذا الكتاب - إن يسر الله - بابًا مفردًا لذكر المشاهير من معجزاته ﷺ سوى القرآن ص ٢٣ س٨ من أسفل.

- الكلام على أن معارضة القرآن لم تقع ص ٢٤ س ٤ من أسفل.

- تكذيب للإمامية في نصوصهم ص ٢٨ س ٣ .

- كتاب «الدامغ في مطاعن القرآن». والاختلاف في مصنفه ص ٣٠ س ٥ .

- كتاب التاج في قدم العالم لابن الراوندي ص ٣٠ س ٨ .

- الباطنية في زمن المؤلف اتسعت أحوالهم وطعنهم وكفرهم ص ٣٠ س ١٠ .

- سخافة المنقول من المعارضة للقرآن من قول مسيلمة وطليحة الأسدي ص ٣ س قبل الأخير، ص ٣١ س ١.

- في أيام المأمون ظهر الإلحاد ص ٣١ .

- بعض كلام لمسيلمة أقل سخفًا من سابق له لاعتماده على القرآن ص ٣٣ س ٣.

- من عجيب ما اختص به القرآن أن الشاعر يدخل لفظة من القرآن في بيت شعره، أو الكاتب في فصل من كتابه، أو المحاور في فصل من محاورته فيكتسب ذلك البيت وذلك الفصل من العذوبة والرونق ما يصير غرة في سائره ص ٣٣ س ١٠ من أسفل.

- المؤلف يتعجب من فعل بعض من يتعاطى الفصاحة ويدعي البلاغة من أهل عصره في إعجابه بفصل لطليحة الأسدي المتنبي ص ٣٣ س ٦ من أسفل.

- لا يعرف حال الشاعر بالبيت الواحد والبيتين، ولا يعرف حال الكاتب بالفصل الواحد أو الفصلين أو الثلاثة ص ٣٤ س ٣.

- فصول لابن المقفع زعموا أنه عارض بها القرآن، ورد المؤلف على ذلك ردًا عنيفًا، وفيه كلام عظيم القدر في بيان معنى المعارضة ص ٣٤ - ٤٣.

- الفصيح قد يعدل عن التصريح إلى التلويح ، لكن على وجه يكون أبلغ من التصريح وأمثلة لذلك من القرآن . ص٣٥ س٤ من أسفل ، ص ٣٦.

- الإعجاز تعلق بالنظم والفصاحة لا بالصرف ص ٣٨ س ٥.

- أهل طبرستان يستلذون خبز الأرز فوق استلذاذ خبز البر . ص ٤٣ س ٨، ١٠.

- التفاوت بين كلام البشر وكلام القرآن ص ٤٤ س الأول .

- علم المعارضات وطرقها كان أقوى علوم العرب ومعرفتهم ص ٤٨ س ٦.

- أحوال الكلام لم تكن تخفي على العرب ص ٥٤ س ٥.

- الكلام في بيان أن القرآن يجب أن يكون معجزًا إذا تعذرت معارضته ص ٥٥.

- عدم معرفة المتقدمين الأوائل لمصطلحات البلاغة لا يعني تقدم المتأخرين وتأخر المتقدمين . وفيه كلام جيد جدًا . أواخر ص ٥٧ - ٦٢ .

- جواب المؤلف عن سؤال سخيف لبعضهم من أنه يجوز أن يكون القرآن كان قد تنزل على نبي قبل نبينا ﷺ ، ثم قام هو بقتله وأخفي حاله ص ٧٠.

- هل يمكن أن يكون مثل القرآن مقدورًا للجن والإنس ص ٧٢

- طعن المؤلف في صحة أشعار الجن وحكاياتها ص ٧٣ س ٩

- كلام هام للمؤلف أن القرآن لم يختص بالفصاحة فقط ، بل الذي اختص به هو النظم المخصوص والأسلوب المتميز واقعًا على طبقات الفصاحة ص ٨٩، ٩٠، ٩٦.

- صاحب الموسيقى سبق الخليل في معنى العروض ص٩١

- الخليل سقط عنه أوزان وأضرب منها الوزن المسمى بركض الخيل ، وجاء عليه الشعر المنسوب إلى عمرو الجني ص٩١ س٩ .

- قصيدة لبعض المحدثين على هذا الوزن مطلعها :

أنسيت فعالهم السمجا فأراك بذكرهم لهجا

ص ٩١ س ٧ من أسفل .

- سقط من الخليل بن أحمد ضرب من وزن المنسرح وهو أن يقع في القافية مفعولان بدلًا من مفتعل ص ٩١ س ٤ من أسفل .

- عودة إلى الوجوه التي ادعى إعجاز القرآن بها ص ٩٧ س ٤ من أسفل.
- المؤلف لا يمنع أن يكون الإخبار بالغيوب من أوجه إعجاز القرآن ص ٩٦ س ٨ من أسفل.
- القائلون بالإعجاز بالصرف، وأن أكثر المتكلمين على أن إعجاز القرآن في الفصاحة المجردة ص ٨ س ١
- الإعجاز في النظم المخصوص ص ٩٨ س ٢
- اختيار المؤلف أن الإعجاز في النظم مع الفصاحة ص ٩٨، ٩٩ س ٣
- مصطلح «الأسلوب» يساوي في معناه مصطلح «النظم» عند المؤلف ص ٩٨ س ٧
- خطأ في آية قرآنية ص ١٠٠ س ١١
- كلام هام للغاية للمؤلف في الرد على من ادعى الإعجاز في الفصاحة في آية: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ ص ١٠٠
- الذي ذهب إلى أن وجه إعجاز القرآن في الفصاحة فقط هو من خفت بضاعته في معرفة كلام العرب ص ١٠١ س ١
- الذي من أجله لا يتعذر النظم هو العلوم التي يحصل بها ص ١٠٤ س ٣
- العلم بإيقاع الفصاحة في نظم مخصوص علم ثالث غير العلم بالنظم والعلم بالفصاحة ص ١٠٥ س ٤
- العلوم التي يعبر عنها بالطبع ص ١٠٥ س ٦
- الرد بقوة على من ادعى إعجاز القرآن في الصرفة ص ١٠٦
- علم الطبع علم زائد على العلم بالنظم والفصاحة ص ١٠٧
- الكلام في بيان أن القرآن ونظمه في أعلى طبقات الفصاحة ص ١١٠
- أصل الفصاحة الإبانة عن المعنى المقصود بحسن البيان ص ١١٠ س ٧ من أسفل
- من أبواب الفصاحة أن يكون الكلام مركبًا في اللغات الفاشية بين العرب التي لم يترذلها أحد ص ١١٠
- من أقسام الفصاحة أن يكون الكلام مؤلفًا من لغات ترتفع عن المبتذل السوقي، وينحط عن المستثقل الحوشي ص ١١١
- من أقسام الفصاحة جزالة اللفظ ص ١١٢

- من أقسام الفصاحة التشبيهات والاستعارات ص ١١٥
- من أقسام الفصاحة الإيجاز ص ١٢٠
- من أقسام الفصاحة التطابق ص ١٢٧
- من أقسام الفصاحة الفواصل ص ١٢٧
- من أقسام الفصاحة التلاؤم ص ١٢٩
- عز الإسلام ورفعته في زمان المؤلف ص ١٤٦ ، ١٤٧
- المؤلف يذكر أنه رأى من سخفاء الفلاسفة من يذكر أن الإنسان إذا اختبل أخبر بالغيب ص ١٥٥
- ذكر بعض معجزات للنبي ﷺ وردت بها الآثار ص ١٦٠
- ذكر لبعض الآثار التي يعتمد عليها مؤلفو الشيعة من ذكر ماء الحؤب وحديث : «تقتلك الفئة الباغية» ص ١٦١ - ١٦٢
- ذكر للقتيبي في أدب الكاتب ص ١٦٢ س ٤ من أسفل
- حديث المؤلف عن الإمامية يكشف أنه ليس منهم ص ١٧٩ ، ١٨٠ س ٧ من أسفل
- صاحب كتاب الزمرد ص ١٨٠ س الأخير
- ذكر لإبراهيم بن أدهم وشيبان الراعي وبشر الحافي ص ١٨٠
- نقول من المؤلف عن كتب أهل الكتاب بما يشير إلى ثقافته الواسعة في اطلاعه على كتب اليهود والنصارى ص ١٨٢ - ١٩٠
- رجوع إلى الحديث في التأكيد على إثبات النبوة له ﷺ وحتى آخر الصفحات التي بين أيدينا ص ١٩٠ - ١٩٢

* * *